

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ وَأَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 94]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْحَقَّ ﷻ لَمَّا قَالَ: ﴿لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 87]، ثُمَّ اسْتَثْنَى الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ مِنْ ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ اسْتَثْنَى هَذَا النَّوعَ مِنَ الصَّيْدِ عَنِ الْمُحَلَّلَاتِ، وَبَيَّنَ دُخُولَهُ فِي الْمُحَرَّمَاتِ⁽¹⁾، فَفِي الِاسْتِثْنَاءَيْنِ تَنَاسُبٌ وَسَبْكٌ فِي النَّظْمِ الْقِرَائِيِّ، يَشَدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَحَقِّقُ الْوَحْدَةَ الْمَوْضُوعِيَّةَ بَيْنَ الْآيَاتِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ نَازِلَةً مُنْجَمَةً عَلَى أَوْقَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَفِيهِ رِبْطٌ نَوْعِيٌّ، فَتَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ هُوَ تَحْرِيمٌ مُؤَيَّدٌ، غَايَتُهُ الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ، وَتَحْرِيمُ الصَّيْدِ هُوَ تَحْرِيمٌ مُؤَقَّتٌ، غَايَتُهُ الْإِبْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾: الْفِعْلُ (يَبْلُو) مِنَ الْإِبْتِلَاءِ، وَهُوَ الْإِخْتِبَارُ وَالِامْتِحَانُ وَالتَّمْحِيصُ؛ لِيَعْلَمَ الْحَقُّ ﷻ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْغَيْرِ، يُقَالُ: "أَبْلَاهُ السَّفَرُ، وَبَلَوْتُهُ اخْتِبَرْتُهُ"، كَأَنِّي أَخْلَقْتُهُ مِنْ كَثْرَةِ اخْتِبَارِي لَهُ... وَسُمِّيَ الْغَمُّ بِلَاءً؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُبْلِي الْجِسْمَ⁽²⁾.

(2) ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾: لَفْظُ (الصَّيْدِ)، مُصْدَرٌ (صَادَ يَصِيدُ صَيْدًا)، وَالتَّعْبِيرُ هُنَا تَعْبِيرٌ مُجَازِيٌّ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ حَدَثٌ، وَهُوَ أَرَادَ الْجَوْهَرَ الْمُصْطَادَ، وَهُوَ "مَا تَوَحَّشَ بِجَنَاحِهِ أَوْ بِقَوَائِمِهِ، مَأْكُولًا كَانَ

انسجام الآيات
في استثناء
الخمير من
الطَّيِّبَاتِ،
واستثناء صيد
للحريم من
البَّاحَاتِ:

الابتلاء:
هو الاختبار
والتَّمْحِيصُ؛
لِيُمِيزَ اللَّهَ
الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ:

(1) الرَّاغِبِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 12/90.

(2) الرَّاغِبِ، الْمَفْرَدَاتِ: (بلى).

أو غير مأكول، ولا يُؤخذ إلا بحيلة⁽¹⁾، وفي المخصص: "والصَّيد وإن كان في الأصل مَصْدَرًا، فقد صار اسمًا للمُصْطاد، ونظيرُ هذا قولهم: الخلق في المخلوق، والنَّسج في المنسوج، ابن دُرَيْد المصيدة والمصيدة والمصيدة: ما صِدَّت به، وصقر صَيُود، سَيَبَوِيهِ، الجمعُ صَيِّدٌ"⁽²⁾.

التَّعْبِيرُ مجازيٌّ؛
لأنَّ المصدر
حَدَّثَ، وهو
أراد الجوهر
المُصْطاد:

(3) ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾: مِنَ النَّيْلِ، وهو الأخذُ، والتَّناوُلُ والإصابةُ، أي: تأخذون ما تصلُّ إليه (أَيْدِيكُمْ)، والأيدي معروفةٌ، وفيه تعبيرٌ مجازيٌّ، فالأصلُ ما تنالونه أنتم بأيديكم، و(ورِمَاحكم)، والرِّمَاحُ صيغة (فِعَالٍ)، جمع تكسير، مفردُه (رُمَحٌ)، وهو آلة الصَّيد، ورَمَحَهُ أصابه⁽³⁾.

هناك تعبيرٌ
مجازيٌّ، أصل
التَّركيب فيه
بمعنى(ما
تنالونه أنتم
بأيديكم):

(4) ﴿يَخَافُهُ﴾: مِنَ الفعل خَافَ يَخَافُ، أصلُه (يَخَوْفٌ)، ثمَّ حصل فيه إعلالٌ، فجذَرُه الخاء والواو والفاء، ولها "أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الذُّعر والفرع. يُقالُ خِفْتُ الشَّيْءَ خوفًا وخيفةً. والياءُ مُبدَلةٌ من واوٍ لكان الكسرة. ويُقالُ: خاوفني فلانٌ فخفتُهُ، أي: كُنْتُ أَشَدَّ خوفًا منه"⁽⁴⁾.

(5) ﴿بِالْغَيْبِ﴾: الغيبُ مصدرٌ، وهو نقيضُ الشَّهادة، بمعنى الحضور؛ فالكونُ كُلُّه غيبٌ وشهادةٌ، و"كلُّ مكانٍ لا يُدرى ما فيه، فهو غيبٌ، وكذلك المَوْضِعُ الَّذِي لا يُدرى ما وراءه؛ وجمعه غُيُوبٌ"⁽⁵⁾. والإيمان بالغيب يقتضي الإيمان بكلِّ ما غابَ عنهم، ممَّا أُخبروا به، كالجنَّة والنَّار والملائكة وغير ذلك.

(6) ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أَمَّا (عَذَابٌ) فجذَرُه (عَ ذَبَ)، وهو في

(1) الرَّاغِب، المفردات: (صيد).

(2) ابن سيده، المخصص: 2/297.

(3) الرَّاغِب، المفردات: (رمح).

(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خوف).

(5) الأزهري، تهذيب اللُّغة: (غيب).

الأصل: "حمل الإنسان أن يُعَذَّب، أي يجوع ويسهر، وقيل أصله من العذب، فعَذَّبْتُهُ، أي: أزلت عَذَبَ حياته على بناء مَرَضْتُهُ وَقَذَّيْتُه، وقيل: أصل التَّعْذِيبِ إكْثَارُ الضَّرْبِ بِعَذَابِ السَّوْطِ، أي: طرفها، وقد قال بعض أهل اللغة: التَّعْذِيبُ هو الضَّرْبُ"⁽¹⁾، وأكثر الوارد في القرآن الكريم، مقصودٌ منه العذابُ الأخرى.

أما قوله ﴿الْأَلِيمُ﴾ فهو على صيغة (فَعِيل)، بمعنى (مُفْعِل)، مؤلِّمٌ، أي: مُوجِّعٌ، هذا هو أصل الألم، وهو الوجع⁽²⁾، وفيه زيادةٌ في التخويف؛ فقد توعدهم بالعذاب، وهو ما لا يُطِيقُهُ الإنسانُ، وزاد عليه صفة الأليم.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

امتحان المؤمنين
بتحريم الصيد
في أثناء الإحرام؛
لينظر من يخافه
بالغيب، ومن
يستحق العذاب
الأليم:

المعنى العام للآية، يتلخَّص في أنه تعالى وجَّه خطابه للمؤمنين من خلقه، من أصحاب رسوله ﷺ، في أن الله امتحنهم وسَيَمَتَّحُنْ غيرهم، وقد امتحنهم وهم مُحَرِّمون، بأن جعل الصيد قريبا منهم، فقد يصطادونه بأيديهم، وقد تنالهُ رماحهم في سهولة ويسر، ومع ذلك فقد حرَّمهُ الله عليهم، وما ذاك إلا ليمتحنهم ويختبرهم؛ ليعلم الله - وهو العالم بما كان، وبما هو كائنٌ، وبما سيكون - من يخافه من أوليائه بالغيب المُشْتَمِل على ناره وعذابه، وكلُّ ما خفي واستتر، ولم يدركه الإنسان بحواسه وغير ذلك، ممَّا هو في حكم الغيب، فمن اعتدى ولم يستجب، وجاوز الحدَّ، فإنَّ العذابَ الشَّدِيدَ المؤلِّمَ في انتظاره.

❖ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

التَّعْبِيرُ بِالرَّمَاحِ؛ هو تعبير بالجزء عن الكل:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾

(1) الرَّاغِب، المفردات: (عذب).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ألم).

تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ خطابٌ منه تعالى إلى المؤمنين من خلقه، الذين اصطفاهم بالإيمان، واختارهم وميّزهم من غيرهم؛ لأنَّهم صدَّقوا الله ورسوله بإيمانهم، وأراد أن تعلو مراتبهم من خلال الابتلاءات التي فرضها عليهم، وههنا أراد ابتلاءهم بشيءٍ مِنَ الصَّيْدِ يَقْبِضُونَ عليه بأيديهم وسلاحهم الذي عبَّر عنه بالرِّمَاحِ تعبيرَ الجزء عن الكلِّ، وهذا التَّركيبُ القرآنيُّ تركيبٌ فريدٌ لم يرد مثله في غير سورة المائدة، وكذا على مستوى بعض الجمل والمفردات، فجملة **﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾** جملةٌ فريدةٌ في بابها، لم ترد في غير هذا الموضع على هذه الصُّورة؛ فهي مُؤَلَّفةٌ من لام القسم، والفعل المضارع **﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾**، مع نُون التَّوكيد الثَّقيلة، والكاف الدَّالة على الخطاب، والميم علامة الجمع، والضَّمير المتَّصل المفعول به.

تقديم المفعول على الفاعل في قوله ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ﴾، وإن كان واجباً؛ لكنّه تقديم للاهتمام:

تقدِّم على الفاعل لفظ الجلالة **﴿اللَّهُ﴾**، وهو وإن كان تقدُّماً واجباً؛ لأنَّه ضميرٌ مُتَّصلٌ، إلَّا أنَّه تقدِّم للاهتمام والاختصاص؛ لأنَّ الابتلاء هنا مُختصٌّ بكم، وبمن خاطبهم الله تعالى بقوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾**، فأنتم المُبتلون وليس غيركم، وكذلك جملة **﴿تَنَالَهُ﴾** فلم يرد هذا اللفظ إلَّا في سورة المائدة، وكذلك قوله **﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾** المضاف والمضاف إليه.

أمَّا لفظه **﴿الصَّيْدِ﴾** فقد وردت على هذه الصُّورة مُعرَّفةً بـ (أل) ثلاث مرَّات، ووردت **﴿صَيْدٌ﴾** [الثالثة: 96] نكرةً مرَّتين، واللافت للانتباه؛ أنَّ جميع هذه الصَّيغ الخمس اقتصر ورودها في سورة المائدة في الآيات: 1 - 94 - 95 تعريفاً، و[الآية: 96] مرَّتين تنكِيراً.

دخول القسم على المضارع يفيد الاستقبال، أي: أنَّ الابتلاء مُستقبليٌّ:

في قوله **﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾** اللام هنا لقسمٍ محذوف، تقديره

تعبير الجزء عن الكلِّ في الآيات
تركيبٌ فريدٌ، لم
يرد مثله في غير
سورة المائدة

التَّقديم
والتَّأخير يخدم
الدَّلالة، ويزيد
من جماليَّة
التركيب

الابتلاء
مُستقبليٌّ؛ لأنَّه
لا يتحقَّق معناه
إِلَّا بعد النِّهي
والتحذير

(والله)، أو نحوه، وحذف المُقسَم به واقعٌ كثيرًا في كلام العرب، والذي يُستنبط من دخول لام القسم على الفعل المضارع، أنَّ الأمر لم يكن واقعًا عند نزول الآية؛ لأنَّ دخول القسم على المضارع لا يُفيد الحال، بل يفيد الاستقبال، أو أنَّ "الابتلاء مُستقبلٌ؛ لأنَّه لا يتحقَّق معنى الابتلاء إِلَّا من بعد النِّهي والتحذير... وأما الصَّيد ونوال الأيدي والرِّماح فهو حاضرٌ"⁽¹⁾.

الابتلاء معناه الاختبار، وهو تعبير مجازيٌّ؛ لأنَّه تعالى ليس محلًّا للحوادث:

القسمُ أسلوبٌ
من أساليب
التوكيد؛ يزيد
العبارة قوَّةً
وبيانًا

المعنى هنا، أنَّ الحقَّ ﷻ يريدُ اختباركم، هل تُطيعونه أم تعصونه، فيما أمركم به؟ والاختبار هنا تعبيرٌ مجازيٌّ، أو اختبارٌ في قياسات العباد؛ لأنَّ الاختبار لا يكون إِلَّا من العبد للعبد؛ لأنَّه تعالى ليس محلًّا للحوادث، وهو اختبارٌ مُؤكِّدٌ بدلالة نون التوكيد الثَّقلية، وهذه النون تقتربان بالقسم، ولا ريب في ذلك، فالقسمُ أسلوبٌ من أساليب التوكيد بجانب معنى القسم.

الصَّيد حدثٌ، والأحداثُ لا تُنالُ بالأيدي أو الرِّماح، إنَّما يُنالُ بهما الأعيانُ والذَّوات:

الصَّيد مصدرٌ
لفظًا، مفعولٌ
معنى على نيَّة
(المصيد) الذي
يُصطادُ

الابتلاء هنا يكون بشيء من الصَّيد؛ أي: ببعض ممَّا يصطادونه، والصَّيد هنا مصدرٌ من (صاد يصيد صيدًا)، فهو مصدرٌ لفظًا، لكنَّه مفعولٌ معنى، على نيَّة (المصيد) الذي يُصطادُ من الطَّير، أو الحيوان أو نحوه؛ لأنَّ المصادر أحداثٌ، والأحداثُ لا تُنالُ بالأيدي أو الرِّماح، إنَّما يُنالُ بهما الأعيانُ والذَّوات؛ فعلم أنَّ الصَّيد هنا بمعنى (المُصطاد).

التَّعبيرُ ﴿بشئٍ﴾ يوحى بالتَّقليل أو التَّبعيض، وله غرض وهدف:

قوله ﴿بشئٍ﴾ يوحى بالتَّقليل والتَّحقير؛ تنبيهًا على أنَّ من

كلَّ بادء
هو امتحان
للإنسان، وعلى
قدر شدَّته يكون
جزاؤه عند الله

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/39.

ابتُلّي، واختُبر بهذا الشيء الحقيق، ولم يثبت، فأني له النّجّاح مع الابتلاءات العظيمة؟

وقد تكون للتّبعض، يؤيّدُه أدأَةُ الجرّ ﴿مَنْ﴾ الدّالّة على التّبعض، "لأنّه لم يبلّهم بصيد البحر، وإنّما ابتلاهم بصيد البرّ، فالابتلاء ببعض لا بجميع"⁽¹⁾، ويُلَمَحُ هذا التّبعض والتّقليل من تنكير ﴿بشيء﴾، فهو دالٌّ على التّقليل والتّهوين من شأن هذا الابتلاء؛ فهو يريد أن يخبرهم، بأنّ هذا الابتلاء إنّما هو ابتلاءٌ يسيرٌ صغيرٌ أمام الابتلاءات العظيمة التي يمرُّ بها الإنسان، كبذل الأرواح، وإنفاق المال، والهجرة عن الأوطان، وغيرها، ولكن "كلُّه ابتلاءٌ، وإن تفاضل في الكثرة والقلة، وتباين في الضّعف والشّدّة"⁽²⁾، وعلى المؤمن النّجاح فيه.

ابتلاء الصّيد ليس من الفتن العظيمة، كبذل الأرواح والأموال:

تساءل الزّمخشرّي عن معنى التّقليل والتّصغير للبلاء في هذه الآية، فقال: "قلّ وصغر، ليعلم أنّه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تُدحض عندها أقدامُ الثّابتين، كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال، وإنّما هو شبيه بما ابتلى به أهلُ أيلة من صيد السمك، وأنّهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشدُّ منه؟"⁽³⁾، وقول الزّمخشرّي وثبةً فكريّة رائدة في بابها، ولكنّها تشيل في الميزان، عندما تُعارض بقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155]، فقد استعملها الله في العظائم، ممّا يُطيحُ بما قاله الزّمخشرّي، ونقله عنه جلة من علماء التّفسير؛ كالحازن والنّسفيّ والبيضاويّ

إذا لم يثبتوا
أمام هذا الابتلاء
الهيّن، فكيف
شأنهم عند ما
يواجههم ما هو
أشدُّ منه؟

(1) ابن جرير، جامع البيان: 10/582.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 8/177.

(3) الزّمخشرّي، الكشّاف: 1/677.

وغيرهم، قال محيي الدين الدرويش في هذا المضمار: "وخير ما يُقال في الإجابة عن هذا الاعتراض، هو أنّ جميع المحن والأرزاء، والبلاء والفتن، ليست بالنسبة إلى مقدور الله تعالى سوى جزءٍ يسيرٍ، خليقٍ به أن يُحَقَّرَ وَيُصَغَّرَ، وأنَّه سبحانه جنح إلى خطاب المؤمنين بهذه الصيغة: تخفيفاً لهم، وباعثاً لهم على الصبر، وحافزاً لهم على الاحتمال، وتلطُّفاً بهم، وترقُّفاً بما يكابدونه منه، فسبحان المتفرد بهذه البلاغة"⁽¹⁾.

ربّما دلّت (من) على التّبيين؛ فيكون الابتلاء المقصود يخرج معناه إلى النّهي:

ربّما دلّت ﴿مِنْ﴾ على التّبيين⁽²⁾ كالوارد في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: 30]، وعلى ذلك فإنّ الابتلاء المُخبر عنه هنا يخرج معناه إلى النّهي (أي: لا تصطادوا)⁽³⁾، يؤيِّده ما نُقل أنّ الحقّ ﷺ قد ابتلاهم "بالصّيد وهم مُحَرَّمُونَ، عام الحديبية، حتّى كانت الوحش والطّيْر تغشاهم في رحالهم، فيقدرون على أخذها بالأيدي، وصيدها بالرّمّاح، وما رأوا مثل ذلك قطّ، فنهاهم الله عنها ابتلاءً"⁽⁴⁾، وهو ابتلاءٌ يُشبهه ابتلاء بني إسرائيل في نهيه ﷺ عن صيد الحيتان يوم السبت.

الباء في قوله ﴿بِشْيءٍ﴾ من حروف المعاني، وتأتي للإلصاق والاستعانة:

هنا عَطَفَ الرّمّاح على الأيدي من باب عطف الكبير على الصّغير؛ فإنّه قد رُوي بأنّ صغار الصّيد للأيدي؛ كالبيض والفراخ، وكباره للرّمّاح⁽⁵⁾؛ كالحُمُر الوحشيّة ونحوها، وتعبيره ﴿بِشْيءٍ﴾ الباء حرف جرٍّ من حروف المعاني، وتأتي في أصل معانيها للإلصاق

النّهي عن صيد
المُحرّم ابتلاءً،
وهو ما بيّنه
القرآن في هذه
الآية

عطف الرّمّاح
على الأيدي؛ من
باب عطف الكبير
على الصّغير

(1) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 3/18.

(2) للنتجب الهمداني، الكتاب الفريد: 2/491.

(3) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 5/437.

(4) الرّازي، مفاتيح الغيب: 12/91.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 8/178.

والاستعانة⁽¹⁾، وفيه تناسب كبير مع ما عبّر عنه في لفظتي ﴿أَيِّدِيكُمْ﴾ و﴿وَرَمَّا حُكِّمَ﴾، فهم يستعينون على الصيد بالأيدي والرمّاح.

التعبير بالرمّاح من باب الاستعارة، فالمصطاد يناله الفارس، وليس الرّمح:

إنّ التعبير بالرمّاح من باب الاستعارة؛ لأنّ الفارس أو المخاطب بالآية هو الذي ينال الصيد برمحه، وليس الرّمح نفسه، ثمّ إنّ الأيدي جمع تكسير، زنة (أفعل)، وهو وزن من أوزان جمع القلّة، وفيه إيحاء إلى أنّ الأيدي محدودة، ومع ذلك ففيها ابتلاء، في أنّ باستطاعتهم صيدها باليد، إلّا أنّها محرّمة عليهم، وهي كذلك؛ فيما عبّر عن آلة الصيد بالرمّاح، ولفظ (رمّاح) وزنها (فِعال)، وذكر الأيدي من دون أعضاء الجسم؛ لأنّ لها التصرّف الأعظم في ذلك، مثلما خصّ ذكر الرّمح؛ لأنّها مثل اليد من الجمادات في تصرّفها؛ ولأنّه لم يذكر السيف مثلاً؛ لأنّه لا يُناسب الصيد كالرمّح.

التعبير بالرمّاح من جموع الكثرة؛ لأنّه قد يحوز الإنسان الكثير من

الرمّاح:

هو جمع تكسير يفيد الكثرة؛ لأنّه وإن كان للإنسان يداً، فإنّه قد يكون في حوزته الكثير من الرّمح، وهو في كلّ قد أضافها إلى الكاف والميم الدّالّتين على الكثرة في حال اجتماع المخاطبين بهذه الآية.

ثمّ إنّ قوله: ﴿تَنَالَهُ﴾ يوحي ما يوحي إلى سهولة الوصول إليه، سواء كان بالأيدي أم الرّمح، وفي ذلك الابتلاء حكمةً بليغة؛ لأنّ "ترك ما لا يُنال إلّا بمشقّة لا يدلّ على التقوى والخوف من الله تعالى، كما يدلّ عليه ترك ما ينال بسهولة⁽²⁾."

ذكر الأيدي من
دون أعضاء
الجسم؛ لأنّ لها
التصرّف الأعظم
في الصيد

ترك ما لا ينال إلّا
بمشقّة أسهل
وأيسر من ترك
ما ينال بسهولة

(1) للرازي، الجنى الدّاني، ص: 36.

(2) رضا، تفسير النار: 7/85.

جملة ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ تعليل لما سبق من الابتلاء:

ثم قال الحق ﷻ: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ وهو تركيب قرآني، لم يرد سواه في جميع القرآن إلا في هذه السورة، واللام للتعليل؛ لأن الجملة تعليل لما سبق من الابتلاء (يَبْلُونَكُمْ.. لِيَعْلَمَ).

ذكر لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ وضع للظاهر موضع المضمَر؛ للتَّحذِير والتَّخْوِيف:

وذكر الفاعل هنا، وهو لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ من وضع الظاهر مكان المضمَر؛ لأنه مذكور سابقاً في سياق الابتلاء، وهي من الظواهر التي يؤتى بها لدواع بلاغية؛ للتأثير في النفوس والأفكار، وذلك بأن يرد الظاهر، ثم يكرّره، والمقام مقام الإضمار⁽¹⁾؛ فإنه لو قال: (لِيَعْلَمَ مَنْ يَخَافُهُ) لاستقام المعنى، إلا أنه أراد تكرار الظاهر تنبيهاً وتحذيراً، فالمقام يستدعي التحذير والتخويف، وإدخال المهابة.

قوله ﴿لِيَعْلَمَ﴾، العلم هنا بمعنى المعرفة:

قوله ﴿لِيَعْلَمَ﴾ هنا بمعنى المعرفة؛ فإنه استوفى مفعولاً واحداً، هو قوله (من)، وهو اسم موصول؛ يستعمل للأناسي، ويقع على المفرد والمثنى والجمع، ويستدعي صلة هي قوله (يَخَافُهُ).

قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ على حذف تقدير (والشَّهادة)؛ لأن من يخافه بالغيب

يخافه بالشَّهادة، لا العكس:

أما قوله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ فمُتَعَلِّقُ بقوله ﴿يَخَافُهُ﴾، ومعناه: يخافه بالسِّرِّ، وفيه حذف على تقدير: (يخافه بالغيب والشَّهادة والحضور؛ لأنَّ الكونَ غيبٌ وشهادةٌ، والإيمان بكلِّ منهما واجبٌ. وأثر ذكر الغيب؛ لأنه أكثرُ جذباً للنَّظر والبحث، ومُحاولة تعرُّفه؛ ولأنَّه يستلزمُ الخوف في حال الشَّهادة والحضور المحسوس، من غير عكسٍ، ومعنى ذلك أنَّ مَنْ يخافه بالغيب والسِّرِّ فسوف يخافه

(1) الكفوي، الكلِّيات، ص: 136.

هذا تركيب
مُتَفَرِّد في القرآن
الكريم؛ دلالة
على تميّز القرآن
وبلاغته

أساليب التأثير
بالتَّصَرُّف في
الظَّاهر والمضمَر،
لها مقاصد
بلاغية

مَنْ يُؤْمِنُ
بِالْمَادِّيَّاتِ
لِلْحُسَّةِ فِي عَالَمِ
الشَّهَادَةِ فَقَطْ
لَا يَخَافُ اللَّهَ
بِالْغَيْبِ غَالِبًا

قطعاً بالشَّهادة، والعلم الَّذي يراه، والبراهين الماديَّة عليه ﷺ، أي: "مَنْ يخاف بالغيب، أي: يخافُه بإخلاصٍ وتحقيقٍ، ولا يختلفُ الحالُ بسبب حضور أحدٍ أو غيبته" (1)، أمَّا مَنْ يُؤمن بالمادِّيَّات المحسوسة، وهي الشَّهادة، فقد لا يخافُ الله بالغيب.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ على حذف مضاف تقديره (لِيَعْلَمَ أولياءُ الله):

والمعنى "ليعلم أولياءُ الله مَنْ يخافُ الله؛ فيتَّقي محارمَهُ الَّتِي حرَّمها عليه، مَنْ الصِّيد وغيره، بحيثُ لا يراه ولا يعاينُهُ" (2)، وعلى ذلك فهو على حذف مضافٍ، تقديرُهُ (لِيَعْلَمَ أولياءُ الله)، وقيل: فيه مَجَازٌ؛ لأنَّ علمَ الله لم يَزَلْ ولا يَزَالُ، ولا يَتَحَقَّقُ بالابتلاء فقط، بل به ومن دونه، وإنَّما عبَّر عنه بهذه الصِّغة تقريباً لأفهام المُخاطبين، مع ملاحظة أنَّه عبَّر بفعل (يَخَافُهُ)، ولم يُعبَّر بفعل (يَخْشَاهُ)، مع أنَّ بينهما تشابهاً مُعْجِماً، وهو تعلقُهُما بالمكروه عامَّة، إلَّا أنَّ بينهما اختلافاً وتبايناً مُعْجِماً من جهة ثانية؛ فإنَّ الخوف يتعلَّقُ بالمكروه نفسه الَّذي يُخَافُ منه، فيما يتعلَّقُ فعلُ الخشية بمَنْزِلِ المكروه (3). على هذا؛ فإنَّ التَّعبير بالخوف من الله أبلغُ في هذا المقام.

التَّعبير بالخوف
لا الخشية؛
لأنَّه أبلغُ في هذا
المقام

الفاء الفصيحة؛ تفصح عمَّا قبلها من سؤال مُقَدَّر:

الفاء تُسمَّى الفصيحة الَّتِي تُفصحُ عمَّا قبلها، والَّتِي يُمكنُ أنْ تخطُرَ على البال (4)، أو أن يسألَ عنها المُخاطَب، ويكونُ ما بعدها نتيجةً لما قبلها، و(مَنْ) شرطيةٌ مُبتدأ، ويجوزُ فيها الموصولة الَّتِي تدلُّ على العموم في قوله: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾، أي: كُلُّ مُعتدٍ، مُتجاوزٍ

قوله: (فَمَنْ)
اعتدى بعد
ذلك فيه تحذير
لمن خالف ذلك

(1) الرَّاذِي، مفاتيح الغيب: 12/91.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 10/585.

(3) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 241.

(4) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/253.

حُدود الله بعد ذلك التبيين من الأحكام، وما حرّمه من الاصطياد، فصَادَ فله عذابُ أليمٌ، ثم قال: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فْلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، لما ذكر ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾، وفيها ما فيها من التحذير والتخويف؛ لأنَّ الابتلاء مُشتملٌ على التخويف، ولما كان ذلك كذلك صرّح هنا بالتحذير لمن خالف ذلك، "أي: بعد ما قدّمناه إليكم، وأعذرنا لكم فيه، فلذلك جاءت بعده فاءُ التّفريع، والمراد بالاعتداء الاعتداء بالصّيد"⁽¹⁾.

(الفاء) واقعةٌ في جواب شرطٍ؛ لأنَّ العذاب مُترتّبٌ على الاعتداء:

(الفاء) واقعةٌ في جواب شرطٍ، فالعذابُ الأليمُ مُترتّبٌ على الاعتداء، وتجاوز الحدود، وهنا قدّم الجارّ والمجرور المتعلّق بالخبر تقديمًا جائزًا، والأصل أن يُقدّر: (فَعَذَابُ أَلِيمٌ لَهُ)، وهو تقديمٌ يفيد الاختصاص والحصر، أي: من تجاوزَ الحدَّ؛ "لأنَّ الاعتداء بعد ذلك مُكابرةٌ صريحةٌ، وعدمُ مُبالاةٍ بتدبير الله تعالى، وخُروجٌ عن طاعته، وانخلاعٌ عن خوفه وخشيته بالكليّة"⁽²⁾، فله وليس لغيره عذابُ أليمٌ، وهو حصرٌ للمبالغة؛ لبيان عِظَمِ مُرتكبِهِ، وقوله: ﴿أَلِيمٌ﴾ بمعنى (مؤلمٌ)، قيلَ في الدّنيا: تعزيرًا، وقيلَ في الآخرة، وقد ورد هذا التّعبير ﴿فْلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نحو: البقرة: 178] في مواضع كثيرةٍ من القرآن الكريم.

تقديم المتعلّق
جوازًا؛ لفائدة
الاختصاص
والحصر

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/41.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السّليم: 2/120.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 9، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-61-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 9: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-61-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»